

القسم الثاني

الحياة المعاشية والاقتصادية في الوقت الحاضر

أرض الإسلام " عالم المسلمين " أرض مأهولة بالسكان منذ فجر التاريخ _ فهي مهد الحضارات ومهبط الأنبياء ، وأرض الرسل والأنبياء . عاش عليها الناس أحقاباً طويلة ، واندثرت أمم وخلفتها أمم أخرى ، والكل عاشوا وتغذوا وعملوا في هذه الأرض ، فتحولت التربة إلى فقر وقلة بالعطاء ، وجفت بعض الأنهار وانتشرت الصحارى في أكثر بقاع عالم المسلمين ، وتبلغ الصحارى بل وتزيد عن نصف مساحة هذا العالم . وكانت هذه الأرض مصدر الخير والبركة والزرع والضرع والجنات والأنعام ، بلاد العرب والهند والصين وبلاد فارس وبلاد الترك وإفريقيا ، والذي يقرأ في أدب الأقدمين يقف على مثل هذه المعاني وأكثر منها ، فجميع المفردات المعروفة في أرض الغابات والسهول والمراعي والمزارع معروفة في لغة العرب ، وجميع مسميات الأنهار والجداول والسلسيل ، والماء الزلال والينابيع ، والجنات ، وكذلك أنواع البهائم والحيوانات والدواب والطيور والأشجار كلها معروفة في لغة العرب ، ولغة سكان هذه المناطق .

ولم تذهب تلك المعاني وحتى الآن من أذهان الناس الذين حرّموا منها ؛ فوعدهم الله تعالى جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، للمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسله وكتبه وملائكته ، في أي معتقد كانوا _ والأوضح من كل هذا ما ورد في القرآن الكريم ، والحديث الشريف بوعده الآخرة . واليوم جذبت الأرض وتصحرت ، وقل عطائها ، وقل إنتاجها مع تحول العالم إلى الصناعات والخدمات ، فأعطى الله تعالى المسلمين روح العصر الحديث والحضارة الحديثة وكل ما يرتبط بها من مقومات حباها الله تعالى المسلمين وهي البترول ، وإن لم يحرمها الآخرين من خلقه لكنه استأثر بها أرض المسلمين بالإنتاج والاحتياط وغير ذلك من مشتقات طبيعية أو مصنعة ، فكان مردودها أكبر بكثير مما عند الآخرين من خيرات . عوض الله تعالى فقر أرضهم واستغلالها المتواصل منذ آلاف السنين بثروات أكثر مردوداً ، وأثمن قيمة ، وأبعد قوة .

لقد تحكم عالم الأقوياء بحبة القمح _ على الرغم من توفر إمكانات إنتاجها عندنا وبشكل واسع . ولم نتحكم نحن بروح حضارة البترول ؛ بل إن واقع المسلمين المتخلف حولهم إلى حراس أمناء على هذه النعمة العظيمة ، تسلب منهم بالجنان ، وتعود إليهم بأعلى الأثمان ، وأصبحوا أسرى استهلاكها وهي تجري تحت أقدامهم . كما أن الله عز وجل قد عوض المسلمين الكثير من المسود

الأولية في الشجر والحجر وفي التراب وفي الطين ، وفي الماء وفي الصحراء . المهم أن المسلمين جميعاً غير قادرين حتى الآن على استغلال خيراتهم أو المحافظة عليها . أو استخراجها بالشكل الذي يكفل لهم العيش الكريم ، فقد استذلوا لرغيف الخبز ، والدرهم ، وكسوة البدن (على اختلاف مسمياتها وأشكالها) .

- يصنف العالم اليوم بالدول الغنية ، والدول الفقيرة ، والدول الأكثر فقراً :

الدول الغنية :

هي التي ملكت صمام الصناعة في العالم ، ولا تريد بحال من الأحوال عن ثمانية ، ولو أنه يلحق بها أحياناً دولاً من الفقراء مثل روسيا ؛ وعرفت هذه الدول بالدول الصناعية أيضاً . على رأسها "الولايات المتحدة" سيدة العالم الآن ؛ أو ما يعرف بحكم القطب الواحد ، فهي موجودة في كل صغيرة وكبيرة في العالم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، وتأثيراتها الأخرى أقل حظاً من الثلاث الأول ، الاجتماعية والأخلاقية والثقافية ، وفي العلم مثلها مثل بقية الدول الصناعية ، حيث العلم الآن في هذه الدول لخدمة الصناعة ، وربما تنافسها بعض الدول حتى في المجال التقني المتطور مثل علوم الكمبيوتر فاهند شقت طريقها بشكل كبير لتدخل في عالم المتقدمين في هذا المضمار ، أما عن العلاقات الاجتماعية أو " البنية الاجتماعية " في الولايات المتحدة فهي الأكثر انحرافاً من بقية دول العالم المتقدم ؛ على الرغم من وجود القوانين الاجتماعية المتطورة التي ليست في دول العالم الأول " أوروبا خاصة " كذلك الحياة الأخلاقية إذ فقدت هي والحياة الاجتماعية تأثيرها على المجتمع الأمريكي للأسباب التالية :

١- الحرية المطلقة التي منحت للفرد : والكثيرون بل أكثر المجتمع الأمريكي لم يحسن استعمالها أحياناً ؛ مما انعكس ذلك على انحطاط القيم الاجتماعية والأخلاقية مع وجود ضوابط قانونية متشددة في الولايات المتحدة التي تحاول أن تحافظ على المستوى الأدنى في هذين الاتجاهين .

٢- منابت الشعوب الأمريكية : سكان الولايات المتحدة خليط من مختلف شعوب العالم ، حملوا عاداتهم وتقاليدهم ، البعض حاول أن يطبع الآخرين بما وأكثرهم انكفئوا على أنفسهم ، وحافظوا على هذه العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية عموماً ، ولكن التأثير كان له دور كبير في هذا المضمار .

٣- ضعف قوة الردع والترهيب : فالسجون مريحة ، وكثيرون يرغبون باستمرار الحياة فيها فيقومون على ارتكاب ما يقرهم منها من جرائم ومخالفات .

٥ - اتساع أراضي الولايات المتحدة ، وسهولة الانتقال من مكان إلى آخر : وتعتبر البيئة وبشكل كبير ذات تأثير فعال - فليس للأمريكي ارتباط فطري أو ارتباط عاطفي مع بقعة معينة لها أو بها ؛ أو اكتسب منها المواطن بعض العادات والقيم ليحافظ عليها .

٦ - انقطاع الصلة بين مختلف عناصر المجتمع الأمريكي حتى من أصحاب الاتجاه الواحد : ومن الأمثلة انقطاع التعاون والتنسيق بين المسلمين أنفسهم المنحدرين من بعض مناطق في العالم الإسلامي ، أو أنهم تربوا هناك ، ومع عدم وجود أية موانع بين المسلمين للتواصل والاستلاحم والتقارب ، فالجميع رباهم الإسلام وأحسن تربيتهم ولنا عودة للحديث عن هذا في بحثنا الأخرى بعون الله وتوفيقه .

وتأتي أوروبا - أو أكثر دول أوروبا - في تعداد هذه المجموعة ولو أن بعضاً من دول أوروبا الغربية أقل من مجاورها ؛ ولكن أوروبا عموماً تدخل في هذا المضمار ، ففي الوقت الذي لا تستطيع دولة " كسويسرا " مثلاً أن تجاري الدول الصناعية الكبرى ؛ لكنها في الواقع قادرة على احتكار صناعات دقيقة وتقليدها كالساعات مثلاً - رغم المنافسة الشديدة من الدول الأخرى .

والمكان الثالث الذي تمكن أن يجاري أوروبا وأمريكا هو دول جنوب شرق آسيا وخصوصاً اليابان التي تمكنت رغم تدميرها بالحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ من النهوض السريع لتندخل عالم الصراع مع الدول الصناعية والفنية جداً ، وما تزال المنافس القوي جداً في هذا المضمار . هذه الدول احتكرت الصناعة في العالم - مع أنها تركت للدول الفقيرة هامشاً واسعاً في مجال التنافس الصناعي ، لكنها - عدا ألمانيا واليابان وإيطاليا - تقفران للقمّة في صناعة أسلحة الدمار الشامل التقليدية ونافسها في مجال التدمير الشامل أي الذرة والهيدروجين كل من الهند وباكستان وإسرائيل .

الدول الفقيرة أو الدول المتوسطة الحال :

هي كل دول أوروبا الغربية والشرقية عدا التي قفزت لتكون في مصاف الدول الغنية ، وأمثلتها إسبانيا والبرتغال والنمسا وهولندا وبلجيكا والدول الاسكندنافية وغيرها ؛ فهي دول تعتمد كثيراً على الذات وفي الشرق يلحق بها دول الخليج العربي (بسبب الثروة النفطية) ودول أخرى مثل بروناي وكوريا وماليزيا وتايوان وغيرها من الدول ، ويستثنى دول الخليج العربي حيث تعتمد على الثروة النفطية ولا تعتمد إطلاقاً على الذات فهي دول تستورد الماء والهواء والتراب وهي التي خلقها الله تعالى مشاعاً بين الناس ولكن هذه الدول تستوردها .

الدول الأشد فقراً:

وهي بقية دول العالم وتتفاوت بين الفقر وسوء التدبير أما الفقر فهو كثرة السكان مثل الهند والصين وبنغلادش وإندونيسيا ونيجيريا وتركيا وباكستان وبقية الدول وتشمل جميع الدول الإسلامية وغيرها فتتميز بسوء التدبير، وتشمل العالم العربي كله، والدول الإسلامية؛ خاصة الدول التي خرجت من مظلة الاتحاد السوفيتي في آسيا وأوروبا الشرقية إلخ ما هنالك... العالم الإسلامي برمته في الترتيب الثالث سواء أكان من حيث عدد السكان أم وهو الأكثر سوء التدبير.

اقتصاد العالم الإسلامي قائم على ركيزتين سيئ استخدامهما وهما:

الأولى الزراعة: وأكثر من ثلاثة أرباع المسلمين يعيشون على الزراعة، والزراعة البدائية التي توارثوها من الأجيال الغابرة، ولا يعدم أن يكون هناك بعض التحديث في هذا المجال، إلا أن الغالب هو الخط القديم. ومع أن أطول أعمار العالم تخرق العالم الإسلامي فإن الاستفادة من هذه الأعمار قليل، وقد تستفيد منه حكومات إسلامية لتحرم حكومات وشعوب أخرى - ومثالها النيل، والفرات، ودجلة، والسفغال، والنيجر، وسيحون، وجيخون، وأما البنجاب، والسند - وتقوم عليها كلها مشكلات بين المسلمين عامة. وتوفر سقوط الأمطار في كثير من أراضي المسلمين؛ ألا إن الصحراء والجفاف السمة الغالبة على هذه الأرض، وعلى أحوال وأطوار الزراعة لدى المسلمين، والمردود والإنتاج الزراعي عموماً أقل بكثير من مناطق أخرى في العالم، استخدمت أساليب حديثة في الإنتاج الزراعي، كما أن نسبة كبيرة من النساء والأطفال يعملون في هذا المضمار؛ عدا كبار السن يعملون فيه كذلك. أرض المسلمين الجيدة غير مستغلة استغلالاً كاملاً، ونسبة استغلال الأرض الجيدة لا يتجاوز ثلثها - مع انحصار كبير في الأراضي المستعملة وتزاحم غير طبيعي. والإنتاج الزراعي متنوع نتيجة امتداد أراضي المسلمين - أو حيث يعيش المسلمون في دول غير إسلامية من المناطق الاستوائية - ١٢ جنوب خط الاستواء في جزر القمر، إلى ٥٤ خط عرض شمال خط الاستواء في حدود ألبانيا الشمالية هذا الموقع المتميز يجعل تنوعاً في اختلاف المناخات وبالتالي اختلاف وتنوع الإنتاج الزراعي من جهة أخرى. فإن تأخر مكنة الزراعة يستدعي عمل كثير من الأيدي العاملة في مجال الزراعة ومن مختلف الأعمار كما تمت الإشارة إليه.

يلحق بالزراعة تربية الماشية، ومازال عدد كبير جداً من سكان العالم الإسلامي، ومن المسلمين عامة يعملون في تربية الماشية والأبقار، وخاصة الجمال والإبل التي ارتبطت بالعرب أولاً وبالمسلمين ثانياً، ولكن لم تتحول بعد هذه التربية إلى التحديث نظراً لفقدان المراعي الخصبة في

الأرض الإسلامية . وهذا يجعل الماشية ضعيفة ولا تعطي المردود المطلوب منها من اللحم أو الحليب أو حتى الصوف ، وعلى العموم فإن المرتبط بالأرض من الحيوانات ليس بالقدر المطلوب من العطاء ، بعد تطوير وسائل تربية الحيوانات الأليفة النافعة في العالم المعاصر . والمسلمون عامة مستوردون _ على شرائح كثيرة منهم _ للإنتاج الزراعي والحيواني ، وخاصة مادي القمح ولحوم الأغنام .

الركيزة الثانية: هي البترول والمواد الأولية الصناعية : أمّا البترول فقد انحصر بدول قليلة السكان قليلة الموارد، فأصبح اعتمادها الرئيسي، مما قفز بها إلى الغنى الفاحش، وحرمت منه دول كثيرة السكان قليلة الموارد أيضاً، والتجزئة كانت العامل المساعد الأول لهذا البعد الشاسع في الموارد بين الدول الإسلامية، فعندما نرى أن دخل الفرد في الكويت يقفز إلى ١٢٠٠٠ دولار في العام لا يصل في الصومال أو بنغلادش إلى ١٥ دولار في العام، وإذا قارنا فإن نفقة الكلب الأليف في أوروبا تعادل نفقة ٥ أشخاص في الدول الإسلامية الأكثر فقراً علماً أن ٥٠ مليون كلب في ألمانيا ينفقون ما ينفقه سكان بنغلادش وباكستان من المسلمين ، وهناك أمثلة نربأ بأنفسنا أن نوردتها في هذا المجال ؛ لكثرة التبذير في عالم الغرب والجوع والديون والفقر في عالم المسلمين . إن البترول الذي كان خلال القرن العشرين ولا ندري إن كان القرن الواحد والعشرون سيتمكن من الاستغناء عن مادة البترول ليتحرك بها في مضمار التطور المخيف في مجال التكنولوجيا والتقنيات ، رتبت أوضاع البترول في العالم الإسلامي (وهو أكبر منتج ومصدر بالعالم بلا منازع) رتبت بشكل يكفل معه أن يكون نعمة لأعداء الإسلام ونقمة على شعوب المسلمين في مختلف أصقاعهم .

١- وضعت أسعار للبترول أرخص قليلاً من أية مادة سائلة في العالم مما فيها الماء المعبأ من الينابيع وسواء أكان منقولاً أم مستهلكاً فإن البترول أرخص من أية مادة سائلة في العالم .

٢- المسلمون - الحكام - هيئوا ليكونوا حراساً أمناء عليه ، أشبعوا بكل الشهوات ووضعوا أمام جميع التحديات ، فوقعوا تحت وصاية الأقوياء ، يضخون لهم النفط بكل أمانة واستمرارية . وسواء فكر أحدهم بشيء من الاستقلال ، أو صم أذنيه المغطاتين بفلاتره : سداداته ، فهو عبارة عن حارس أمين يحمي أكثر بكثير مما يأكل ، ويعتقد أن البترول للبيع فقط ، ولم يفكر واحد منهم أن هذا سلاح أرسله الله تعالى للمسلمين ليكون لهم عوناً ونصراً على أعدائهم ، فقدموا سلاحهم بكل بساطة لعدوهم ، بدراهم معدودات وكانوا فيه من الزاهدين ، فاستغله عدوهم لتدميرهم وإفقارهم ولا استمرار إذلالهم وتجزئتهم؛ بعد أن سيطر وعرف سر هذا السلاح الذي أرسله الله

تعالى للمسلمين ليكون نعمة عليهم فكان عليهم نقمة ، إذ أنهم استمروا واستمروا العداوة فيما بينهم .. حتى يجعل الله تعالى لهم مخرجاً .

يدرك - كل ذي عين يرى بها - أن البترول أخطر ما في الوجود الآن على الأقل ، وهز والكهرباء من أخطر ما تمكن الإنسان تسخير في هذا العصر ، والبترول عصب الكهرباء والكهرباء شريان يمتد إلى كل واحد في الدنيا الآن . المسلمون وقفوا على الزراعة لتأمين العيش ، والحد الأدنى ، واستفادوا من البترول كذلك من حدوده الدنيا - سواء في صناعاتهم أو في الاستخدامات اليومية للمواصلات والتدفئة والوقود - وبين الآخرون حضارتهم على هذا النعيم الذي استفادوا منه إلى أبعد الحدود ، ورتبوا إمداداته إليهم بشكل يكفل استمراره بالتدفق الدائم ، وأقاموا حروباً إقليمية خطيرة بين المسلمين أنفسهم وبينهم ؛ وبين المسلمين ليضمنوا بذلك نفعهم وضرر المسلمين مالكي هذه المادة التي وهبهم الله تعالى إياها .

في جانب آخر من المعاش ؛ فإن التجزئة قد حالت دون فتح أبواب التجارة بين المسلمين ، وكذا القوانين الجمركية القاسية التي يسقط الناس قتلى من أجلها على الحدود المرسومة لدول العالم الإسلامي ، وكذلك التنسيق أو التشاور في الإنتاج أو النوعية أو الجودة . وإذا استثنينا النفط فإن العالم يعطينا كل شيء ، ولا يأخذ منا شيئاً إطلاقاً ، صناعة متخلفة حتى للمواد الاستهلاكية ، وحرمان الصناعات الثقيلة مهما كانت ، وحُجِرَ على العقول المنتجة والمبدعة والغالب سرقتها لتخدم ذلك المجتمع الذي ضل وأضل ، والذي تحكم بالقوة المادية في رقاب الناس ؛ وأصبح البيع الخفي الذي يخيف كل الذين يفكرون غير ذلك ، قبل أن ينتقل بهم الأمر إلى تدبير أمر يجعلهم يخرجون من تحت هذا الظل القائم المخيف - المسلمون يستهلكون التكنولوجيا ولأبعد حدودها ومردودها عليهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، دون ضابط أو هدف قريب أو بعيد يرغبون بتحقيقه من وراء هذا الاستهلاك ، وإن قلدوا ففي الحدود الدنيا ، بل قل بأدنى الحدود وإذا تقدمت صناعات قطفت على عالم الغرب فهم من حيث التبعية والتقليد أخطر ما في دروب حياتهم ، العلامات التجارية العالمية في مطعمهم وملبسهم ومسكنهم وتنقلاتهم ، ومنامهم ويقظتهم ؛ وليس لهم على أية حال أية علامة تجارية لأنهم لا يملكون من حيث المبدأ أصولها ولا إنتاجها . وتبقى قضية النقد العامل الأخطر في تقدم اقتصاد عالم المسلمين الذي يتزل - عدا دول البترول - التي ارتفعت فوق الأرض ويهبط مال الآخرين إلى أسفل سافلين . في يوم من الأيام كان الدينار الكويتي يعادل الدينار العراقي واليوم الدينار الكويتي يعادل ثمانية آلاف دينار عراقي ، وكان هذا الدينار (الكويتي) يعادل ١٠ ليرة لبنانية واليوم يعادل وبلا مبالغة حوالي سنة آلاف ليرة لبنانية .

وكل من أرادوا به شراً حاصروه فأما ترا أطفاله، وعطلوا حياته مباشرة ، والآخرون يقتلونهم ببطء ، والجميع - أي المسلمون الآن - مطلوب قتلهم ، وهذا ما نطق به القرن العشرون السيئ الحظ على المسلمين عامة ، فقد جعلهم في مؤخرة أمم الأرض من هذا الاتجاه على الأقل .

لا يعدم وجود الكثير من الموارد الاقتصادية الأخرى ، بعض الصناعات التحويلية لبعض الصناعات الغذائية ، بعض الصناعات التراثية ، مواد أولية غير البترول تصدر أو فلذات خام أو في بدايات التحويل ، مواقع تجارية هامة جداً لوقوع العالم الإسلامي في عقد التجارة العالمية ، وكذلك السيطرة على الطرق التجارية القديمة مثل طريقي الحرير والتوابل ، وكذلك الطرق الهامة في آسيا وأفريقيا ، والتي بدأت تفقد شيئاً كثيراً من أهميتها ؛ باستحداث طرق أحدث : بحرية أو حيوية أو آلية ، قطارات ، شاحنات ، والسياحة إلى عالم المسلمين وكذلك الهجرة إليه رغم أنما أقل من الهجرة منه ، ثم التبادل السلمي ، وتبادل المصالح ، ويعتبر العالم الإسلامي من أكثر الدول والمناطق والوحدات في العالم استهلاكاً للسلاح - وخاصة السلاح القديم والمستهلك - وكذلك تجارة المنتجات الحديثة المصنعة في جنوب شرق آسيا (البوذية ، والبرهمية) أو بعض الدول الإسلامية التي أرادت أن تلحق العالم في تلك المنطقة رغم كل العقبات والمثبطات والمنافسات التي يتعرض لها هذا التوجه في عالم المسلمين .

العالم الإسلامي سوق استهلاكي كبير يستورد الغذاء والدواء والشراب والهواء والآلات والتكنولوجيا والسلاح والصناعات الميكانيكية والطائرات ، ويقايز بشيء بسيط مما عنده ولكن دخول العالم الإسلامي خانة الديون ، والعالم الإسلامي أكثر مجموعة دولية في العالم مديونية ، وذلك للضغط الكبير الذي يمارس على هذه الدول لاستيراد ما لا حاجة لها به حتى السلاح الذي يخزن عندنا حتى يموت ، وهذه المديونية هي أكبر وأخطر المصائب التي حلت بعالم المسلمين . وهي السكين المسلطة على رقاب المسلمين في كل مكان . ثم إن هذه المديونية لم تفكر دولة من الدول الإسلامية بطرق السداد ؛ خاصة وأن قضية الفائدة المركبة الربا الفاحش يدخل ليضاعف الديون إلى أضعاف كثيرة . وترى أن الأرقام التي ترد عن هذا الأمر تعتبر من أشنع ما حل بالعالم الإسلامي من مصائب .

ونشير إلى بعض الدخول للأفراد في بعض دول العالم الإسلامي ونقارنه ببعض دخول الدول الأدي من العالم الغربي في العالم :

الرقم	اسم الدولة	الانتماء	المساحة كيلومتر مربع	المسكان	الكثافة السكانية	دخل الفرد م ٢٠٠٠	ملاحظات
١	أفغانستان	أواسط آسيا	٦٥٢,٢٢٥	٢٤,٢٠٠,٠٠٠	٢٧/كم ^٢	٨٠٠ دولار	
٢	السعودية	العالم العربي	٢,٢٤٠,٠٠٠	١٩,٤٠٠,٠٠٠	٩/كم ^٢	١٠,٠٠٠ "	
٣	البحرين	العالم العربي	٧٠٧ كم ^٢	٠,٥٩٩,٠٠٠	٨٤٧/كم ^٢	١٠,٠٠٠ "	
٤	الجزائر	العالم العربي	٢,٣٨١,٠٠٠	٢٨,٧٠٠,٠٠٠	١٢/كم ^٢	١,٥٢٠ "	
٥	الكويت	العالم العربي	٠,٠١٧,٨١٨	١,٦٠٠,٠٠٠	٨٩/كم ^٢	١٢,٠٠٠ "	
٦	المغرب	العالم العربي	٠,٤٥٨,٧٣٠	٢٧,١٠٠,٠٠٠	٥٩/كم ^٢	١,٢٩٠ "	
٧	مصر	العالم العربي	١,٠٠٢,٠٠٠	٥٩,٢٠٠,٠٠٠	٥٩/كم ^٢	١,٠٨٠ "	
٨	اليمن	العالم العربي	٠,٥٣٦,٨٦٩	١٥,٦٠٠,٠٠٠	٢٩/كم ^٢	٠,٣٨٠ "	
٩	السودان	العالم العربي	٢,٥٠٥,٨١٣	٢٧,٣٠٠,٠٠٠	١٠/كم ^٢	٠,٨٠٠ "	
١٠	أذربيجان	أواسط آسيا	٠,٠٨٦,٦٠٠	٧,٥٠٠,٠٠٠	٨٨/كم ^٢	٠,٤٨٠ "	
١١	بنغلادش	قارة الهند	٠,١٤٧,٠٠٠	١٢١,٦٠٠,٠٠٠	٨٢٥/كم ^٢	٢٦٠ دولار	
١٢	البوسنة	أوروبا	٠,٠٥١,١٢٩	٤,٥٠٠,٠٠٠	٨٨/كم ^٢	٨٠٠ دولار	
١٣	بور كينا فاسو	أفريقيا	٠,٢٧٤,٢٠٠	١٠,٦٠٠,٠٠٠	٣٩/كم ^٢	٠,٢٣٠ "	
١٤	جزر القمر	أفريقيا	٠,٠٠١,٨٦٢	٠,٥٠٥,٠٠٠	٢٧١/كم ^٢	٠,٤٥٠ "	
١٥	حبيوني	العالم العربي	٠,٠٢٣,٠٠٠	٠,٦١٩,٠٠٠	٢٧/كم ^٢	٣,٠٠٠ "	
١٦	غامبيا	أفريقيا	٠,٠١١,٢٩٥	١,١٠٠,٠٠٠	١٠٢/كم ^٢	٠,٨٠٠ "	
١٧	غويانا	أفريقيا	٠,٢٥٤,٨٥٧	٦,٧٠٠,٠٠٠	٢٨/كم ^٢	٠,٥٦٠ "	
١٨	إندونيسيا	ج.ش آسيا	١,٩٠٤,٤٤٣	١٩٧,٠٠٠,٠٠٠	١٠٤/كم ^٢	١,٠٨٠ "	
١٩	العراق	العالم العربي	٠,٤٣٨,٣١٧	٢١,٣٠٠,٠٠٠	٤٩/كم ^٢	٣,٠٠٠ "	
٢٠	إيران	بلاد فارس	١,٦٤٨,٠٠٠	٦٢,٥٠٠,٠٠٠	٣٨/كم ^٢	٣,٠٠٠ "	
٢١	أنثونيا	أفريقيا	١,١٣٣,٣٨	٥٨,٢٠٠,٠٠٠	٥٦/كم ^٢	٠,٠١٠ "	%٤٥
٢٢	طاجيكستان	أواسط آسيا	٠,١٤٣,١٠٠	٥,٩٠٠,٠٠٠	٤١/كم ^٢	٠,٣٤٠ "	مستوى
٢٣	كازاخستان	أواسط آسيا	٢,٧١٧,٢٠٠	١٦,٤٠٠,٤٠٠	٦/كم ^٢	١٣٥٠ "	
٢٤	نرغيستان	أواسط آسيا	٠,١٩٨,٥٠٠	٤,٦٠٠,٠٠٠	٢٣/كم ^٢	٠,٥٥٠ "	

٢٥	ليبيا	العالم العربي	١,٧٧٥,٥٠٠	٥,٢٠٠,٠٠٠	٣ كم٢	١٠,٠٠٠,٠٠٠	%٦٠
٢٦	لبنان	العالم العربي	١٠,٤٥٢,٠٠٠	٤,١٠٠,٠٠٠	%٣٩٠	٢,٩٧٠,٠٠٠	سكبر
٢٧	غينيا	أفريقيا	٠,٢٥٤,٨٥٧	٦,٧٠٠,٠٠٠	٢٨ كم٢	٥٦٠,٠٠٠	
٢٨	ماليزيا	شرق آسيا	٣٢٩,٧٥٨,٠٠٠	٢٠,٢٥٠,٠٠٠	٦٢ كم٢	٤,٣٧٠,٠٠٠	
٢٩	مالديف	محيط هندي	٠٠٠,٢٨٩	٢٥٦,٠٠٠	٨٥٩ كم٢	٠,١٠٨,٠٠٠	
٣٠	مالي	أفريقيا	١,٣٤٠,١٩٢	٩,٩٠٠,٠٠٠	٨ كم٢	٠,٢٤٠,٠٠٠	
٣١	موريتانيا	أفريقيا	١,٠٣٠,٧٠٠	٢,٣٠٠,٠٠٠	٢ كم٢	٠,٤٧٠,٠٠٠	
٣٢	البحر	أفريقيا	١,٢٦٧,٠٠٠	٩,٣٠٠,٠٠٠	٧ كم٢	٠,٢٠٠,٠٠٠	
٣٣	البحريرا	أفريقيا	٩٢٣,٧٦٨	١١٤,٦٠٠,٠٠٠	١٢٤ كم٢	٠,٢٤٠,٠٠٠	
٣٤	باكستان	قارة الهند	٧٩٦,٠٩٥	١٣٣,٧٠٠,٠٠٠	١٦٨ كم٢	٠,٤٨٠,٠٠٠	
٣٥	قطر	العالم العربي	١١,٤٢٧	٠,٦٦٠,٠٠٠	٥٨ كم٢	١٠,٠٠٠,٠٠٠	
٣٦	عمان	العالم العربي	٣٠٩,٥٠٠	٢,٢٢٠,٠٠٠	٧ كم٢	١٠,٠٠٠,٠٠٠	
٣٧	السنغال	أفريقيا	١٩٦,٧٢٢	٨,٥٠٠,٠٠٠	٤٣ كم٢	٠,٥٧٠,٠٠٠	
٣٨	ألبانيا	أوروبا	٢٨,٧٤٨	٣,٢٠٠,٠٠٠	١١٤ كم٢	٠,٨٢٠,٠٠٠	
٣٩	سيراليون	أفريقيا	٧١,٧٤٠	٤,٦٠٠,٠٠٠	٦٥ كم٢	٠,٢٠٠,٠٠٠	
٤٠	الصومال	أفريقيا	٦٣٧,٦٥٧	٩,٨٠٠,٠٠٠	١٥ كم٢	٠,٨٠٠,٠٠٠	
٤١	سوريا	العالم العربي	١٨٥,١٨٠	١٤,٨٠٠,٠٠٠	٧٨ كم٢	١,١٦٠,٠٠٠	
٤٢	تنسار	أفريقيا	١,٢٨٤,٠٠٠	٦,٦٠٠,٠٠٠	٥ كم٢	٠,١٦٠,٠٠٠	
٤٣	تونس	العالم العربي	٠,١٦٣,٦١٠	٩,١٠٠,٠٠٠	٥٦ كم٢	١,٩٣٠,٠٠٠	
٤٤	تركيا	الترك	٧٩٧,٤٥٢	٦٢,٦٠٠,٠٠٠	٨٠ كم٢	٢,٨٣٠,٠٠٠	
٤٥	تركمانستان	الترك	٤٨٨,١٠٠	٤,٥٠٠,٠٠٠	٩ كم٢	٠,٩٤٠,٠٠٠	
٤٦	الإمارات	العالم العربي	٧٧,٧٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠	٣٣ كم٢	١٢,٠٠٠,٠٠٠	
٤٧	أوزباكستان	وسط آسيا	٤٤٧,٤٠٠	٢٣,٢٠٠,٠٠٠	٥٢ كم٢	١,٠١٠,٠٠٠	
٤٨	بروناي	ج.ش. آسيا	٥,٧٦٥	٢٩٠,٠٠٠	٥٠ كم٢	١٠,٠٠٠,٠٠٠	

إن هذه نماذج لبعض الدول الإسلامية الغنية منها والتي يزيد دخل الفرد فيها بأكثر من ١٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار سنوياً ولعلها جميعاً من دول البترول ، ثم الدول المتوسطة والتي يتراوح دخل الفرد فيها بين ٥,٠٠٠ – ١٠,٠٠٠ دولار ، وهي دول قليلة جداً ، ثم الدول الفقيرة التي

ذكرناها . ثم الأكثر فقراً بين ١,٠٠٠ – ٥,٠٠ دولار ، وهي أكثر الدول الإسلامية من هذه النماذج التي ذكرناها . ثم الفقيرة جداً بين ١٠٠ – ٥٠٠ دولار وهي الأكثرية الساحقة من دول العالم الإسلامي والأكثر سكاناً في منظومة الدول الإسلامية . وندرج فيما يلي نماذج لدول غنية وليس فيها بتروول أو أي دخل (بعض الصناعة أو الزراعة) لنقارن بينها وبين دول العالم الإسلامي .

الرقم	اسم الدولة	الانتماء	المساحة كيلومتر مربع	السكان	الكثافة السكانية	دخل الفرد م٢٠٠٠	ملاحظات
١	الأرجنتين	أمريكا الجنوبية	٢,٧٨٠,٤٠٠	٣٥,٢٠٠,٠٠٠	١٣/كم٢	٨,٣٨٠,٠٠٠	
٢	أيرلاند	استراليا	٧,٦٨٢,٣٠٠	١٨,٣٠٠,٠٠٠	٢/كم٢	٢٠,٠٩٠,٠٠٠	
٣	كندا	أمريكا الشمالية	٩,٩٥٨,٣١٩	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	٣/كم٢	١٩,٠٢٠,٠٠٠	
٤	قبرص	البحر المتوسط	٩,٢٥١	٧٤٠,٠٠٠	٨٠/كم٢	٩,٠٠٠,٠٠٠	
٥	الدنمارك	أوروبا	٤٣,٠٩٤	٥,٣٠٠,٠٠٠	١٢٢/كم٢	٣٢,١٠٠,٠٠٠	
٦	أستراليا	أوروبا	٥٠٤,٧٨٢	٣٩,٣٠٠,٠٠٠	٧٨/كم٢	١٤,٣٥٠,٠٠٠	
٧	فنلندا	أوروبا	٣٣٨,١٤٨	٥,١٠٠,٠٠٠	١٥,٢/كم٢	٢٣,٢٤٠,٠٠٠	
٨	فرنسا	أوروبا	٥٤٣,٩٦٥	٥٨,٣٠٠,٠٠٠	١٠٧/كم٢	٢٦,٢٧٠	
٩	إيطاليا	أوروبا	٣٠١,٣٢٣	٥٧,٤٠٠,٠٠٠	١٩٠/كم٢	١٩,٨٨٠	
١٠	لوكسمبورغ	أوروبا	٢,٥٨٦	٤١٦,٠٠٠	١٦٦/كم٢	٤٥,٣٦٠	
١١	نيوزيلندا	استراليا	٢٧٠,٥٣٤	١,٦٠٠,٠٠٠	١١/كم٢	١٥,٧٢٠	

إضافة إلى أن دخل الفرد في كل من اليابان ٤٠,٩٤٠ دولار ، استراليا ٢٨,١١٠ دولار سويسرا ٤٤,٣٥٠ ، تاوان ١٢,٨١٨ بريطانيا ١٩,٦٠٠ ، الولايات المتحدة ٢٨,٠٢٠ وغير ذلك من الدول الغنية ، ومقارنة بسيطة : دخل الفرد السويسري = ٢٧٨ دخل الفرد في تشاد ويساوي ٤ دخل الفرد في كل من السعودية والكويت وبروناي والإمارات وهي أغنى دول العالم الإسلامي ، هذه المقارنة للدلالة على الحالة الاقتصادية للمسلمين في الوقت الحاضر . وليس المقصد منها الربط مع القوة والسيادة والسيطرة فدول لا تُرى على الخارطة تتمتع بالغنى الفاحش والولايات المتحدة أقل كثيراً من أكثر من عدد كبير من الدول الأخرى المتعشة اقتصادياً ،

اليابان ٤٠٩٤٠ والولايات المتحدة ٢٨٠٢٠ واليابان متروعة السلاح، سويسرا ٤٤٣٥٠ وهكذا ^(١) .

الموارد الاقتصادية :

حبا الله تعالى العالم الإسلامي بكل ميزات الطبيعة ، وعلى الرغم من أن الصحراء تتجاوز نصف العالم الإسلامي - ناهيك عن الأراضي الجرداء والجبال والأودية - لكن المسلم تفاعل مع الطبيعة وكثيراً ما روضها وهزمها وإذا هزمته فإنه يصير عليها . استهلاك الفرد الإسرائيلي من الماء يعادل ٤٠ مرة مقارنة بالفرد الفلسطيني في ذات البقعة عدا سكان الصحاري الذين يعيشون على قطرات من الماء هم ودوابهم وكل حياتهم . في الوقت الذي تصب به الأنهار العظمى لتزود البحار بالماء اللازم .

ومع تنوع المناخات ، وتنوع الموقع الجغرافي ، وتنوع الطاقات الطبيعية وكذلك تنوع البشر الذين يتعاملون مع الطبيعة بالصبر والقهر والاستفادة ؛ فإن الموارد الاقتصادية لا تغطي كثيراً من احتياجات المسلمين فيضطرون للاستيراد والدين وليس نقداً ، حتى أن بعض السلع "الاستراتيجية" كالقمح يعتبر السلاح الأوفى فتكاً على جميع الدول الإسلامية ، وهم إما يأكلون أو يموتون .

إن الله تعالى رزق المسلمين رزقاً يقيم أودهم ويزيد عن حاجتهم ، ويجعلهم من أغنى الناس ، والمسلم ليس بحاجة كغيره إلى مغريات الدنيا فهو قادر بحال من الأحوال على أن يجارب كل أغنياء العالم بما لديه - وهو ليس بحاجة له - فقد احتصر الرسول ﷺ الحياة بقوله : " من بات عنده قوت يومه ومعافى في بدنه وأمناً في مربه فقد حيزت له الدنيا وما فيها " .

رزق يوم وصحة جيدة وأمن على النفس في الأهل هذه تكفي الإنسان لأن تسلس له الدنيا قيادها " كيف ونحن نرقل بالنعيم وبيننا الذين يموتون من الجوع ، صحتنا جيدة وتكلفنا الكثير ، فرمنا المستشفيات وعالم الطب من الأماكن الكثيرة في بلادنا ، وبيننا الذين تفتك بهم الأمراض ويموتون بأعداد غير طبيعية ، ثم إننا نحن من دون العالم نتكاثر والعالم ينحسر ، والإحصائيات جعلت العالم يتوجه إلينا لنوقف تكاثرنا . والإنسان في الدنيا هو الفاعل القادر على سياستها والقادر على قيادها والتحكم فيها .. أما الشبهة الثالثة لتكون الدنيا في حيازة الإنسان فهو الأمن وهذا الذي افتقدناه على طول العالم الإسلامي وعرضه وكذلك ربما جميع الجاليات الإسلامية في

(١) انظر - The Encyclopedia of word Geography - Alemonia 1999 - Atlas universal .
BARNES NOBLE BOOKS NEW YORK 1997 - New Country World Atlas .

العالم التي تأتي بالدرجات من الثانية إلى ... حيث لا يعترف بها . فقدان الأمن في الوطن الإسلامي، فرق الجماعة ، وخلق العداوة وأحاف الناس وأرعبهم ، وشتت شملهم ، حولهم إلى لاجئين في كل أنحاء الدنيا حيث وصل المسلمون إلى مجاهل الجزر المتناثرة في المحيطات ، والبلدان المعلقة بين السماء والأرض .

إن فقدان الأمن هو السمة الغالبة على حياة الناس عموماً ، وبهذا فإن آثارها السيئة أكثر من أن توصف . ولذا فإن أرزاق الغير متوازنة وغالبية الفروق بين الغنى والفقر جاءت من طرق غير مشروعة إطلاقاً .. من الربا ، الكذب ، حلفان الإيمان (القسم الكذب) ، السطو ، الابتزاز ، السرقة ، التلاعب ، الغش ، وعن كل الطرق المحرمة في الإسلام على الخصوص الذي فرض الحلال ، والصدقات والزكاة، والتبرعات والأوقاف والهبات والتعاون، فأذهب الله تعالى البركة التي تنمي الخير وتزيده وتزكيه، فكثر منع الخير وكثرة السؤال . في تفارق متباعد .. ولم تسن أية قوانين لوقف التباعد قبل أن نفكر قليلاً في العودة إلى التقارب . قال تعالى في سورة الإسراء : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ انتَبَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَا تَحْنُ تُرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ﴾ [الإسراء] .

إن التزام المسلم بإسلامه شرط لازم لنيل رحمة ربه ، وإن ترك المسلم لدينه فإن الله تعالى يذله في الدنيا والآخرة - وربما لا سمح الله نحن في مثل هذا الحال إلا من رحم ربك وليسوا هم بالقليل - لأن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا ويدافع عن المتقين ، ويجزي الصادقين بصدقهم

ويجزئهم على ما عملوا الخير الكثير ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حُدُوقًا وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَثَرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَانُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَا (٣٩) ﴾ [النبأ] .

العلة في تخلف المسلمين اليوم هي الصورة الواضحة التي ذكر بعضاً منها ، أما الصور الأخرى فهي كثيرة وكثيرة جداً .. وعلينا أن ندرك أن البلاء يعم ، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) ﴾ [الأنفال] ولكن لطف الله ورأفته بعباده قادرة على أن تخرجنا مما نحن فيه بقضية واحدة هي التوجه إلى الله ، وإسلاسة قيادنا والإسلام والتسليم له . وهذه الفكرة المكررة تحول بيننا وبين الفوز في كثير من الأحيان ، إذا ما هو السبيل لعودة المسلمين إلى دينهم ، والناظر يرى أن بين ذلك قروناً .. إذا فنحن في نظرة إلى واقع مثالي قد لا يتحقق في القريب العاجل على الأقل ، وننتظر حتى يعود المسلمون إلى دينهم ليتمكنهم الله تعالى في الأرض ! إن هذا ليس من المدرك في حياة البشر ، والذين لا يعون التاريخ وحياة الأمم يظنون الحال في ذلك ولكن ليرى الناس أننا ندرج على أرض ما دامت لنا قبلنا ، وسيدرج عليها من سيأتي بعدنا ، مع اختلاف الأمم البائدة والسائدة . وما كان مستحيلًا في نظر الأقدمين أصبح حقيقة في الوقت الحاضر ، وما يمكن أن يرى أنه في حكم المستحيل مستقبلاً فإنه سيكون له الوجود والحق لاحقاً . هذه سنن طلب منا الله أن نتفكر بها حتى لا ندخل في متاهات اليأس والقنوط ، وندرج تالياً صورتين لهذه السنن وهي كثيرة جداً في كتاب الله وفي سنة المصطفى ﷺ .. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَن أَوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢) وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَن تَبْتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَأَذْنُكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُواكَ مِّنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُبْحَنَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِّن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) ﴾ [الإسراء] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا رَبَّهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٣٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعْذِرُ الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِلَّا غُرُورًا (٤٠) إِنْ اللَّهُ يُمْسِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنَّا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥) ﴿ [فاطر] .

هذا مثال واضح لتدبير قدرة الله تعالى في استخلاص الأمم بعضها ببعض ، ولفتة واضحة حلية يجب ألا يفوتنا النظر إليها رغم عظمتها ورغم ما في ترتيبها من تسلية وإيناس لأولى الألياب ، حتى يعلم الجميع أن ما يبذله الدعاة إلى الله تعالى وحمل رسالة الإسلام في زمان كثر فيه الكفر والحرام والبعث عن منهج الله تعالى ، وليعلم المضطرون والذين يدعون من دون الله آلهة أخرى ، أن حبل الله تعالى هو الأوثق والأقوم والأدوم فأنه خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لَا يَغْرُوكَ ثَقَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبَنَسَ الْمِهَادَ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) ﴿ [آل عمران] .

فالأمر كله هو عدم فهم القضايا التالية :

١- إن الرزق والموارد الغني ليس هو عماد النصر والارتفاع والحكم والسلطان .

٢- إن القناعة في كثير من الأحيان هي مبدأ قادر على سد احتياجات الأمة وإزالة الفوارق المعيشية بين الناس .

٣- حتى في العصر الحاضر فإن الجندي أقل الناس تناولاً للطعام وأقلهم استقراراً وهو الوحيد الذي لا يسعى إلى كسب الرزق بل يكفي بما يقدم إليه ولو كان أقل القليل . في عصرنا وفي مختلف العصور الماضية .

٤- توزيع الموارد بالعدل هو الطريق الأسلم للفرد والرأفة والمحبة واستغلال أوقات الناس والاستفادة من طاقاتهم .

٥- سد أبواب الحرام التي تؤدي في العاجل أو الآجل إلى تدمير الأمم وإبادتها : السرقة ، الربا ، الابتزاز ، القمار ، الاحتيال ، السيطرة ، أكل الأموال بغير حق " مال اليتيم والقاصر ، والمعتوه ، والمسكين " والاستغلال . وقد تكفل نظام الإسلام بالبدائل الأوفى والأحسن والأجود .

٦- إتباع أوامر الله تعالى بالتعامل مع المال : التجارة ، الزكاة ، الصدقات ، الهبات ، الأوقاف ، التأمين المشروع ، القروض الحسنة ، المساعدات ، كل هذه الطرق كفيلاً بخلق العدالة أو القرب منها كثيراً .

٧- الاستفادة من الموارد الطبيعية .. مياه ، معادن ، زراعات ، أمطار ، بترول ، طبيعة ، وأي مورد آخر ، وتطوير استخدام هذه الموارد في تقنية متطورة غير خاضعة للقوى العظمى ، أو القوى المهيمنة على طاقات التحزئة ، وإزالة الحواجز والموانع لنقل هذه الموارد من وإلى العالم الإسلامي أولاً ومن ثم لخدمة الإنسانية عموماً .

والأمر ليس غريباً ولا هو بالجديد ، ولا هو بالمستغرب فإن آيات القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ وسنة الأولين من السلف الصالح كل هذا قد طبق ويطبق وتتوخى العدالة ما كانت النموذج الأمثل في حياة البشرية قاطبة .

ليس المقصود هنا تعداد الأرقام الكثيرة والقليلة لهذه الموارد في تمكين أن توضح أن ما عندنا أكثر من حاجتنا قطعاً ؛ ورزق الله قد عم وفاض علينا ، ولكننا نحن الذين تجاوزنا هذه النعم إلى النقم التي تسود الأمة وتجعلها في مؤخرة الأمم من حيث الرقي والغنى والاكتفاء في هذه الحياة .

إن من أسوأ التعاملات في العالم الإسلامي أمران :

الأول : عدم سيطرة المسلمين على مواردهم ، وإعطاء الأخطر منها إلى الأعداء لتحريك آلة تدميرنا وحربنا وإذلالنا ، وعدم استفادتنا إلا بالحد الأدنى جداً الذي لا يصل إلى التأثير الاستراتيجي على مقدرات الأمة وما ملكت ، وكذلك عدم الاستغلال الأمثل لهذه الموارد حتى أنها

تحوّلت كلها وباءً على المسلمين وليس غذاءً ودواءً لهم ؛ إذ حُورِبوا بالأولى وأُفْقِدوا الثانية فكان الذل حليفهم والقهر ديدنهم والافتراس صفتهم في كل معركة .

الثاني : تسليم الأموال وبكل بساطة إلى أعداء الأمة من اليهود أولاً والنصارى ثانياً ، وملئنا أرقاماً فلكية ليس لنا منها إلا الاسم ، وهم يستخدمون الأموال لتطوير آلات حربهم ودعم قوتهم ، وثبتت أركانهم ، وفي كل حين نعطي رقماً ناقصاً أو زائداً أو وهمياً ليس إلا وتسد أفواهنا بالمنتجات المختلفة من عربي أو أعجمي طالما أن الأمر والتصرف منوط بأعداء الأمة ، والعقول التي تحيك لنا كل المؤامرات تستغل منا كل القدرات والأموال ، إلى درجة بلغت حد الضحك على الحكام والمحكومين ، وحتى الأدنى مما بين أيدينا من المال قد أفقده قيمته فلم يعد لعملاتنا أية قيمة إلا ما ارتبط بهم ! خوفاً من التدهور المخيف في مجال المال والصناعة ، والزراعة والإنتاج الحيواني أو الخاص ، كل هذا أضحي في أيدي الآخرين يرفعونه أو يخفضونه في الوقت الذي يريدون ، ونقبل بعد ترويضنا نحن المسلمين على أيدي حكامنا ومساعدتهم وحكومات المخابرات والتجسس والتصنت والقهر المطلق .

وتحكم الربا في كل المعاملات المالية ، وأحمل القارئ العزيز على تقارير الخبراء العالميين في مجال المال ؛ أي مسلك حرام نحن نسلكه في تعاملنا ومعاشنا ، ويقع أباطرة المال فوق هرم الحاكمية في أدنى المال وأعلاه . وهذه حال دول الإسلام كلها من مشرقها إلى مغربها ، أعطت مفتاح قوتها لأعدائها القادرين على فتح أبواب البلاء عليها في الوقت المناسب لمنعها من أي تقدم أو فلاح ، وربطت الدول بديون خيالية تتنامى مع فوائدها في كل حين ونلث وراء الدول الدائنة لجدولة ديونها وتخفيف العبء القاتل علينا ، والتمن إن حصل المهانة والمذلة ، والبعد عن العودة إلى الإسلام .

طلبت الولايات المتحدة من الدول الإسلامية إيقاف تدريس مادة التربية الإسلامية "انتواضة جداً" في المدارس ، وتدرس الدول الإسلامية باحترام هذا الطلب ؛ لأنه فرض عليها من شعوبها وبالحد المتدني جداً ، بحيث يتخرج الملايين من أبنائنا في العالم الإسلامي وليس لديهم أية فكرة واضحة عن حياة نبي أو صحابي أو رمز من رموز الإسلام في مجال السياسة والقيادة والفكر والعلم والتقدم والزهدي ، وما يعطي يكرر دائماً على أسماء معينة يظن الدارس أننا لا نملك سواها ، فإن فقد عزّها من رأسه فقد تخلى لهاثياً عن كل تقدير !!

نحن الآن في دور الخطأ المعاشي .. ولكننا نعيش وبأحسن حال والحمد لله . لكن غاب عنا تماماً أن الخطأ الذي نرتكبه يؤدي بنا إلى التهلكة في الدنيا والآخرة - كثيرون منا والحمد لله تعالى

يتحرون الحلال ولا يعيشون إلا على الحلال ، ويتعدون عن الحرام وحتى عن أهله .. وكثيرون قد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً دون علم ولا معرفة ولا تكليف أنفسهم عناء البحث والتقصي عن الحلال المطلق ، والابتعاد عن الحرام المطلق . والقسم الثالث لا يعنيه موضوع الحلال والحرام بأي شكل من الأشكال .. المهم أن يعيش وبالمستوى المعاشي الذي يريد وحتى بالحد الأدنى من هذا المعاش . هذا الخلط العجيب الغير متجانس يتعامل كله مع بعضه البعض ، فليس هناك إطلاقاً حدود بين هذا وذاك ، فأب يرتكب الحرام ، وأم تتحرى الحلال ، وأولاد بين الأم والأب حائرون؛ أو أنهم على الأقل القليل يعيشون . وهذا الخلط هو المرض العضال فليس هناك رقابة شرعية ، ولا مرجعية دينية ، ولا سلطة حكومية ، ولا قوة سياسية تمنع هذا الخلط ، وتظهر للناس ما هو حلال وما هو حرام . وبذلك فإن الوقوع في الآثام أمر متوقع في كل خطوة .

إن فقدان المرجعية عموماً أبشع أنواع الأمراض ، فكل المرجعيات طرحت من عن كاهلها قضية التحكيم أو التحكيم إلى شرع الله . والذين يمكن أن يظهروا للناس درهم منعوا بكل الأساليب الإنسانية والوحشية على السواء ، وهجروا ودفنوا وكممت أفواههم ، حتى منعوا من أبسط حقوق الإنسان بل الحيوان ليمارسوها في حياتهم . وليس الشعب عنده المقدرة أن يكون عالماً كله لبحث عن الحلال والحرام في المراجع .. عدا العلماء الذين لم يتمكنوا في هذه اللحظة من الاتفاق على أمر صارخ من الأمور الحياتية والمعاشية ، والعلم عند الله تعالى أن البحث عن المرجعية السياسية والدينية من أول الأولويات المفقودة لدى المسلمين اليوم ، وإعادة بالمنظور ضرب من المستحيل ، حيث إن التعقيدات التي أحيط بها درب السياسة في عالم المسلمين يوقع كل مصلح في هوة يقضي حياته بها ، وليس من قافلة تنقذه حتى ولا تشتريه بدراهم معدودات ليخطو خطوات يوسف عليه السلام لإنقاذ الأمة . إذ أنه انتهى بالسجن إن قدر له أن يساع بدراهم معدودات ، ويموت هناك ، ولا يعرف أين مقره التالي ؛ إن لم يكن مقره الأول قد عاجله بالعقوبة .

إن سوء التخطيط كما يجب المحدثون تسميته ، والارتجال الصارخ في الأفعال والأقوال وردود الفعل القاسية ، والجهل المطبق ، وعدم وجود الغيرة على الدين ، وسيادة رأي المناهضين للإسلام ، وتحكم أعداء الأمة من الخارج والداخل بمقدراتها ، والسير في كل الطرق التي لا تؤدي إلى صلاح الأمة ، كل هذه وأكثر منها هي التي تحكي وتعمل في تدمير أمة الإسلام وحملة هم الأمة ، ومن يمكن أن يقدم خيراً للإسلام في صراع عالمي جعل الإسلام هو العدو الأول ، والمتحدي الوحيد للعملة الحديثة ، وإن كان هناك شريك آخر يتحدى العملة مثل الصين فإن العملة تبحث بمجد

وبأناة لاستقطاب هذا الخصم لأنه لا يملك بأية حال ما يملكه الإسلام من إمكانات التحدي لخطوات الشيطان المتنوعة والمختلفة الأسماء ومنها أخيراً مصطلح العولة أو حكم العالم بقطب واحد ؛ فالإسلام ما زال الخصم الأقوى لكل المسميات التي درجت على ألسن الناس وأدبياتهم خلال القرنين الماضيين ، وما يمكن أن يطلق من تعبيرات ومصطلحات خلال القرن الحالي أيضاً .